دينا زهران
قصة قصيرة
مغامرات رائدة في الفضاء
دينا زهران

مغامرات رائدة في الفضاء

قصة قصيرة

دينـــا زهـــران

تصميم:

غلاف خارجي: دينا زهران .

تنسيق وتصميم داخلي : دينا زهران.

تدقيق لغوي: فريق كلام على ورق.

هبة الله عيسي و ندي الجندي وروان أشرف و أسماء الموطيع ونهي حجاج.

تذكر أنك قرأت هذا على مدونة

كلام على ورق

كلام على ورق

إهداء

إلى صغيرتي المدللة ليلى...

أنتِ قرة عيني وروح فؤادي. أهدي إليكِ عمري

أجمع وليست فقط مجرد كلمات....

دينا زهران

-الفصل الأول-

"الكوكب الأحمر"

يقولون: "أعياه البحث عن أدب فى الأرض، فاتجه إلى المريخ". أظن أن هذا القائل كان يصفني بشدة؛ فقد اتجهت صوب المجهول صدقًا هذة المرة، لقد حذرنى الجميع من أن حماقتي ستؤدي إلى هلاكي يومًا ما، ولكنني لم أصدقهم إلا الآن، يبدو أنهم كانوا على حق؛ فها أنا ذا اتبعت جماعتى التي آمنت بي نحو سراب قد يمحونا من الوجود.

يبدو أنني شردت من جديد.. دعوني أقوم أولًا بتعريف نفسي وجماعتي...

أنا مرسى، كان يحلم أبي دومًا أن أكون مرساه في الحياة، وملاذه الآمن الذي يرسو إليه عند بطش الدنيا به، أما أمي فقد هلكت سفنها بقدومي، ووافتها المنية عقب ولادتي. ولدت لأجد الجميع يعلق عليّ الكثير من الأحلام والأمنيات، ولكن حلمي كان مختلفًا! حلمت دومًا بأن أطفو بعيدًا.. وقد صدق هؤلاء حلمي بل ورافقوني في رحلتي.. من هؤلاء؟ هؤلاء هم جماعتي الحالمة، المغامرة، الداعمة، التي رافقتني صوب المريخ.. ذلك الكوكب الأحمر المهيب. بقمريه الصغيرين؛ فوبوس وديموس، والمليء بثاني أكسيد الكربون، بصخوره المرمدية المنتشرة على مرمى بصرس، الخالي من المياه، والمليء بأكسيد الحديد، ونحن على

وشك استكشاف هضابه وكهوفه. عقب أن هبطت سفينتنا على أرضه الصخرية الحمراء كسطح بارد مليء بالدماء، نزلنا جميعًا ونحن نرتدي بذلاتنا الخاصة المزودة بأقنعة الأكسجين التي تُمَكِّننا من التنفس بسهولة. كنت في مقدمة الركب، وأول الهابطين، أحمل بيدي علم وطني لأغرسه على تلك الأرض الغريبة لأمحو غرابتها ولأضمها لعالمنا. وقفت وأنا أحلم بعدسات المصورين التي تلاحقنا وهتافاتهم التي تملأ أذنيَّ بالفخر بنا والاعتزاز بما حققناه. حقًا لقد كان حلمًا بعيد المنال، ولكن استطعنا سويًا كفريق واحد أن نحققه. لم يكن سهلًا علينا أن نتغلب على اختلافاتنا، فكل منا جاء من رحم صعاب مختلفة، ولكن اليوم صنعنا مجدنا

الخاص الذي سيخلد ذكرانا للأبد. ولنكون مثلًا لكل ذي حلم؛ أنه مهما بلغت غرابة حلمه فهو يستطيع تحقيقه، كل ما عليه فعله فقط هو أن يغرس قواعدًا لحلمه في أرض الواقع؛ فكل واقع نعيشه اليوم هو حلم شخص ما سعى واجتهد حتى تحقق. صديقي لا بأس أن تحلم ما دمت تستطيع أن تبني قواعدًا لحلمك في أرض الواقع.. اليوم أنا بصدد تحقيق حلم استثمرت عمري لأغرس قواعده. انتهت رحلتنا وعدنا على متن سفينتنا، تحملنا لكوكبنا الأزرق من جديد، ولكن ما ظنناه نهاية رحلتنا لم يكن سوى بداية لرحلة أخرى أعجب وأغرب بكثير... فقد ضلت سفينتنا طريقها وأصيبت محركاتها بعطل جثيم أجبر قائدها على الهبوط السريع بأرض

غريبة عنا، غير مأهولة. نزلنا سويًا يتملكنا الفزع نستكشف تلك الصحراء القاحلة برمالها الصفراء السرمدية. حقًا سبحان الخالق الوهاب، إنه لفرق شاسع بين الكوكبين؛ كلتاهما صحراء ولكن لكل منهما لون ورونق ورائحة وحياة مختلفة. انقسمنا لفرق لنستكشف تلك البقاع، لربما عثر أحدنا على أي من معالم الحياة التي قد تعيدنا لوطننا. ذهبت مع رفيقتيّ؛ سدين ويمنى نتحسس خطانا على مهل فقد هبط الليل وانتشر الظلام في كل مكان، قُدت فريقي بتؤدة نحو كهف لاح لنا نور بداخله ينير الأفق. سرنا سويًا بخطى مدروسة، مؤهلين أنفسنا لجميع الاحتمالات، تملؤنا المخاوف عما سنواجه بداخله، لا نعلم أبشر بداخله أم وحش كاسر؟ أم

جان معاقب كما تقول يمنى؟ إن عقلي يرفض أي فرضية غير أن ساكن هذا الكهف هو بشر حي مثلنا! فكيف لوحش أن يسكن الكهوف وينير ظلامها بالنيران؟ وكيف لجان أن يترك الملكوت أجمع ويعاقب بكهف بالأرض؟ لكل منا معتقداته ولكني لا أؤمن إلا بما يصدقه عقلي...

انطلقنا تغمرنا الحماسة ويمنعنا الخوف من المجهول من التقدم، ويبطئ الحذر من خطانا.. اندفعت بفضول أبحث عن مشعل النيران بينما شهرت سدين خنجرها تحسبًا لظهور الوحش المزعوم. أما يمنى فقد انزوت وراءنا تخشى ذلك الجان،

لنجد أمامنا ثلاثة ممرات ضيقة لا تسع سوى لفرد واحد فقط.

اتفقنا أن نفترق ونترك علامات تجمعنا من جديد. أشعل كل منا عودًا من الخشب وجدناه بمقدمة الكهف بتلك النيران، وسلك كل منا دربه...

لنلتقي من جديد، لنعود لأوطاننا.....

هل تريدون معرفة كيف عدنا؟!

-الفصل الثاني-

"ثلاثة دروب"

الدرب الأول:

مرسى..

سلكت دربي أتلمس أيًا من معالم الحياة بداخل ذلك الكهف المظلم الذى ينيره بضعة مشاعل متناثرة على طول الممر مشتعلة بالنيران، أحمل بيدي شعلتي، أجعلها في المقدمة لتحميني، فبالرغم من أني لا أصدق صديقتيّ في كنه ساكن هذا الكهف إلا أن الاحتياط واجب، فلربما

حاول هذا الشخص إيذائي. يجب أن أحترس..

فبكل الأحوال أنا الغريبة هنا...

دعوني أصف لكم ما أرى...

أنا بداخل لوحة فنية نادرة، رائعة الجمال، تفوق وصفي مهما بالغت به..

أظن أنه كان يومًا ما بمثابة مأوى لأحد القبائل أو المخلوقات القديمة..

يتكون الكهف من بهوين كبيرين يمين وشمال الفتحة المؤدية إلى داخله، بالجزء الأيمن منها تكوينات كلسية، تأخذ أشكالًا مختلفة تشبه الكمثرى والجزر، والشعاب المرجانية..

أعتقد أننا هبطنا في ولاية فرجينيا.. فقد شاهدت مثيل لهذا الكهف في أحد الإعلانات لتلك

المزارات السياحية، لا أتذكر جيدًا اسم ذلك الكهف ولكن صورته قد طُبعَت في ذاكرتي فقد كان فريدًا بحق، حتى أنني نويت زيارته يومًا ما. أتذكر أنه كان مذكورًة في هذا الإعلان أن ذاك الكهف يعود إلى العصر الأيوسيني أي قرابة الأربعين مليون عامًا مضت..

يا إلهي! لا بد أن تلك التكوينات الصخرية استغرقت دهرًا لتأخذ ذلك الشكل البراق الخلاب.

لست خبيرة جيولوجية ولكن بخبرتي الضئيلة في هذه الأشياء يبدو أنه مزيج بين الحجر الجيري والمياه، أعتقد أنهم تفاعلوا سويًا على مر السنين لينتجوا ذلك السطح المرمري

الخلاب الذى يتألق تحت ضوء نيران مشعلي ليبدو مثل الجليد البراق.

استغرقت في تأمل هذا الكهف العجيب، أطوف بين ممراته، أتلمس ذلك السطح المرمري في انبهار حقيقي، فعلى الرغم من أني أجوب الفضاء في سفينتي وأرى الأعاجيب، ولكن استرق هذا العجب لُبِّي فجعلني متيمى به حتى أني نسيت غربتي وتوهاني، ونسيت حذري وحيطتي.. حتى أنني لم أشعر بذلك القادم من ورائي ولم أستطع الدفاع عن نفسي وهو يقوم بتطويقي من رقبتي حتى فقدت وعيي على إثر ضربة قاسية أسفل رأسي....

-الفصل الثالث-

"الدرب الثاني"

سدين...

مضيت في طريقي شاهرة خنجري أمامي، أحتمي به من المجهول، فلا أعلم ماذا يسكن هذا الكهف؟ ربما هو وحش مخيف، أو أحد تلك الكائنات الغريبة التي نظنها انقرضت...

يا لها من مغرورة تلك المرساه! إنها تظن نفسها عالمو بغياهب الكوكب أجمع لمجرد أنها قادتنا

فى تلك الرحلة اللعينة التي قذفت بنا لتلك الصحراء القاحلة. كيف يمكنها أن تنعتني بالحمقاء لمجرد أني أعتقد في وجود الوحوش والمخلوقات الغريبة؟ ما الضرر من كوني رائدة فضاء ولي معتقداتي الخاصة؟ ثم ما الجهل في الكائنات الغريبة؟ أكنت سأكون مثقفة إذ اعتقدت أن ساكني هذا الكهف جماعة من الفضائيين الذين ضلوا طريقهم؟ يا لها من ساذجة رعناء!

فكل منا يتأثر ببيئته، ويحمل معتقداتها طوال عمره، مهما درس وتثقف، تبقى بداخله تلك المعتقدات خاملة تتحين الوقت لتقفز أمامنا من جديد لتعلن عن وجودها وترسخها بداخلنا؛ فهي جزء لا يتجزأ من تكويننا.

أثرت فضلوكم حولي أليس كذلك؟!

أنا سدين...

لقد ولدت في البراري واعتدت حياة الأدغال والترحال، أحمل معي خنجري الذي لا يفارقني منذ نبتُّ في هذه الدنيا. كم خلصني من أفاعي ونمور! إنه خير صديق ومخّلصَ. لم أعلم لي أب أو أم، ولكن كانت لي قبيلة كاملة تحميني وترأف لحالي؛ فقد وجدوني شريدة على جذع من جذوع النخيل بوسط محيط جارف يبدو أن أهلي وافتهم المنية على متن تلك السفينة وحمتني العناية الإلهية لتنقذني من تلك السفينة الغارقة وأصل لبر الامان لتلك القبيلة الطيبة التي أدين لها بالفضل لما وصلت إليه اليوم من علم وحياة، لتغرقني تلك البائسة مرسى في تلك الرمال.

في حياتي حاربت العديد من الوحوش، ولكن وحشي الأكبر الذى لم أستطع هزيمته كان خوفي من المجهول. حييت أنتظر هلاكي في أي لحظة. لا أعلم لمَ كل هذا الخوف من المجهول؟ لمَ أخشى ما لا أعلم؟ ربما لأني فُرض علي حماية نفسي في وقت باكر، أصابتني برانويا الخوف المطلق.. وربما تلك الأساطير هي السبب، فكيف لطفلة تُحكى لها يوميًا عشرات الأساطير عن الوحوش المفزعة التي قد تظهر من العدم أن لا تخاف من المجهول ولا تؤمن بالوحوش؟ وخاصة أنها خاضت بالفعل بنفسها العديد من تلك الحروب مع هؤلاء الوحوش والمخلوقات الغريبة التي تعج بهم الغابات.

ولكن مرسى مدللة لا تعلم عن تلك المخلوقات شيئًا، ربما شاهدتهم بحديقة الحيوان ذات مرة، ولكن لم تصارعهم لتبقى على قيد الحياة أبدًا.

دعوني أصف لكم ما أرى بذلك الكهف العجيب..

يبدو أن ما تبحث عنه يبحث عنك..

يا إلهي! إن جدران هذا الكهف الحجري مليئة بالنقوش الحيوانية.

أعتقد أن هذا الحيوان يشبه البهموت *.. وهذا اا إنه يشبه ذلك النسناس العملاق الأسطوري*.... وذلك الحيوان شبيه الحصان؛ إنه يشبه ذلك المخلوق المعز شادهافر*.. وذلك الحيوان أيضا كم يشبه القطرب *... يا إلهى! ليتني أتوهم، أم أن جدران ذلك الكهف مغطاة

بالكامل بكل تلك الأساطير التي قصتها عليّ جدتي بالتبني....

يبدو أنني استدعيت موتي... وأن تلك الجدران ستكون آخر ما أرى من عالمي قبل أن ينقض

عليَّ أحد تلك المخلوقات ليفتك بي دون رحمة.

•الباهموت Bahamut: الباهموت كان مخلوقًا أسطوريًا ظهر في أساطير العرب في الجاهلية وقبل الإسلام.

وعُرف بأنه سمكة عملاقة متوحشة تسكن أعماق المحيطات، واعتقد العرب القدامى أن تلك السمكة كانت تحمل الأرض على ظهرها، وأن رأسها يشبه رأس الفيل أو وحيد القرن.

•النسناس Nasnas: كان وحشًا مروعًا ظهر في الأساطير العربية قبل الإسلام، فكان يُعتقد أن النسناس هم ذرية نتجت عن تزاوج شيطان مع الإنسان، ولديها القدرة على قتل البشر وجعلهم بلا جسد بمجرد لمسهم.

جاء وصف النسناس في القصص كان مخيفًا؛ إذ كان لديه نصف رأس ونص جسد، وكان يقوم بقفزات عملاقة بواسطة قدم واحدة لتنقض على البشر المطمئنين وتقتلهم.

•الشادهافر: Shadhavar أو شادهافر، كان من المخلوقات العربية الأسطورية التي أطلت من قصص العصور الوسطى، حيث كان يُعتقد أن شادهافار مخلوق شبيه بحيوان وحيد القرن لديه قرنًا واحدًا عملاقًا و42 فرعًا مجوفًا ينتشر من هذا القرن.

قال القزويني عن هذا المخلوق أنه يعيش في بلاد الريم، وعندما تمر الرياح عبر قرنه السحري والفروع الخارجة منه ينتج صوتًا لطيفًا يجعل الحيوانات تتجمع حوله وتستمع للموسيقى العذبة.

•القطرب Qutrub: هو خرافة شعبية ظهرت في الفلكلور العربي، ويُقال أنه وحش شبيه بالذئب، وهو نوع من الشياطين أو صنفًا من الجن، وغالبًا ما يشبه القطرب مخلوق الغول الأسطوري، ويُعتقد أنه يسكن المقابر ويلتهم جثث الموتى.

-الفصل الرابع-

"الدرب الثالث"

يمنى

انزويت خلف صديقتيَّ، والرعب يملؤ قلبي الصغير الذى اعتاد الخوف دائمًا.

من أنا؟ أنا يمنى، صغيرة والديَّ ومدللتهما الوحيدة، كانا يخشيان عليَّ من كل شيء، وأي

شيء، كانا يعوضان غياب الأشخاص والأماكن بِحُبهما وعطائهما الذي لا حد له، ولكن ما كان ينقصني هو أنْ أرى العالم، أتذكر جيدًا البركان الذي انفجر في وجهي حين أعلمتهما لأول مرة أنني أريد أن أصبح رائدة فضاء، أتذكر وعيد أبي وانهيار أمي، أتذكر بكائي وطعم الدموع في فمي عقب تلك المناوشة الصغيرة.

لم تكن آخر مرة أتذوق فيها ذلك الدمع؛ فقد اعتدته على مر ليالي كثيرة تَلَت تلك الليلة، صب عليَّ فيها والديَّ جام غضبهما، ووصفوني بالعاقة والناقمة على حبهما لي، لم أرفض حبهما، فقط أردت أن أحقق ما أحب، أتذكَّر أيضًا لياليَ تالية عدة، أخذ أبي وأمي يخيفاني

من الخارج، ويخبراني كم أن العالم مخيف!
وأنهما يقومان بحمايتي من بشاعة هذا العالم.

كانت أول مرة أشعر بمثل هذا الخوف، أخذتْ أمي على عاتقها مهمة إفزاعي في كل ليلة بقصصها المرعبة والمخيفة عن غيبيات ما وراء الطبيعة وعن عالم تسكنه الظلال والأشباح يحيط بنا من كل صوب وأنني بالتأكيد لست محصنة لمواجهة المرَدَة وأطياف الجان التي قد تفتك بي في لمح البصر وكيف لا أخاف وقد مَحَيَا شخصيتي وآدميتي؟ جعلوني أسيرة لعالمهما المظلم؛ هذا العالم المخيف الذى يُمنَع فيه كل شيء حتى صار فتح النافذة فيه جريمة لا تغتفر.

تلمست جدران هذا الكهف البارد أتحسس الطريق بخوف لا مثيل له يجوب بخاطري كل حكايات أمي وتهديدات أبي، أضأْت بشعلتي الضئيلة طريقي حتى انقسم الكهف إلى ممر طويل، ارتسمت على جدرانه أطياف غريبة تشبه البشر، ولكنَّ بعضها أطول وبعضها أقصر، ولكن المتشابه بينهم وبيننا أنهم لا يسيرون مثلنا، كانت الرسومات جميعها تحمل نفس السمة كأنهم رجال يسبحون أو أطياف هائمة ملونة جميعها بلون واحد فقط يحمل صفة الشر الأعظم ونفس لون ذلك السائل الدافئ الذي يملؤ أجسادنا ويحمل لها الحياة، نعم تلك الرسومات جميعها مخضبة بلون الدماء الأحمر الداكن، تلك اللوحات السخيفة بعثت القشعريرة

في جسدي؛ فهي تجسد لوحة دموية تحمل الموت في طياتها تشبه أرواحًا ميتة عائمة في ظلمات قبرها، أسفل ذلك الممر الضيق كان يوجد درج عجيب لا يقل غرابة في الشكل عن غرابة ذلك الكهف المرعب، ولكنه طريق وحيد لا مفر من أن أسلكه، نزلت درجات هذا الدرج ببطء وحذر وأنا أتذكر طفولتي البائسة التي نسجت كل هذا الرعب بطيات روحي، أُطمئن قلبي بأن ربي لن ينساني، فكيف بالذي أخرجني من الظلمات إلى النور، وأنقذني من براثن رعب أهلي، وحقق لي حلمي وجعلني أجوب الفضاء أن ينساني في عمق هذا الكهف؟ استودعت نفسي وروحي لخالقها وسرت في طريقي أبحث عن مخرج من عتمة ذلك الكهف،

لأرى أمامي من بعيد يلوح لي ضوء مصباح عجيب لم أر في حياتي مثله أبدًا، كانت تحيط به هالة مضيئة، وكأنه خرج للتو من أحد أفلام الأساطير القديمة، اقتربت ببطء والعواصف تجول بذهني، لا أعلم هل أحمله؟ أم سيخرج منه جان يؤذيني؟

-الفصل الخامس-

"مخاوف عدة"

مرسى.

استيقظت من جديد لأجد نفسي مقيدة اليدين والقدمين، مصلوبة على أحد تلك الجدران الصخرية، تبًا، ألم يكن حلمًا!

الغامض: لا تحاولي الفرار أيتها الدخيلة.

انتابتني القشعريرة إثر تلك الصرخة من ذلك الغامض الذي لا أراه.

مرسى: من أنت؟!

الغامض: حريّ بكِ أن تسألي أين أنتِ؟

مرسى: أنا بالتأكيد داخل ذلك الكهف، نعم؛ فها هي الأرض المرمرية ذاتها وتلك الجدران العتيقة اللامعة التي تشبه الجليد، ولكن من أنت؟ ولم لا أركَ؟! ولماذا تقيدني؟!!

الغامض: لستِ في موضع توجهين فيه أية أسئلة، فقط أجيبي، من أنتِ؟ وكيف أتيتِ إلى هنا؟! وما هذه الثياب العجيبة التي ترتديها؟!

مرسى: أنا رائدة فضاء، وهذه هي بذلتي الواقية التي تزودني بالأكسجين للتنفس، هبطت سفينتنا بالخطأ وسط الصحراء، ورأينا النيران في فوهة الكهف فدخلنا نستطلع لعلنا نعرف أين نحن؟ أو كيف نعود إلى وطننا؟

الغامض بفزع: سفينتنا! ودخلنا؟ من أنتم! أهناك المزيد منكِ؟!

مرسى بشجاعة: نعم، نحن كُثر، وبالتأكيد أنهم يبحثون عنّي الآن، من الأفضل أن تفك قيدي وإلا ستهلك.

الغامض بصوت مرتعد أقرب للعويل: يا لكِ من حمقاء! أنتِ حتى لا تعلمين إلى أيّ تهلكةٍ قفزتِ بفريقك.

مرسى وقد دبّ الخوف في أوصالها: أنا لست خطرًا عليك إن لم تؤذني، فكّ قيدي! وسنتفاهم.

الغامض: أي تفاهمٍ تريدين؟ لقد وقعتي في اللّعنة؛ أنتِ الآن بداخل كهفِ اللّعنات! لا يخرج منه أحدٌ حي.

مرسي بثقة: عن أي لعنةٍ تتحدث أيّها الغريب؟! نحن بولاية فرجينيا، وهذا أحد كهوفها.

الغامض: نحن بمصر يا فتاة، تحديدًا داخل كهف وادي سنور ببني سويف، أو هكذا أظن! لا أعلم، أنا هنا منذ عقود، لا أفنى ولا أقدر على الخروج.

دعيني أقصّ عليكِ قصتي من البداية.

أنا ضياء، مرشد سياحي تخرجت من جامعتي عام ١٩٩٠.

مرسى بجزع: كم؟! أنت تمازحني بالتأكيد!

أكمل ضياء حديثه ولم يلتفت لجزعها: أخبرتكِ أنه ملعون، كان ذلك الكهف حديث الاكتشاف؛ فقد اكتشفه عمال المحاجر عام ١٩٩٢ وهم يبحثون في المنطقة عن رخام الألباستر، كنت ضمن رحلةٍ استكشافية للكهف، نظمتها وزارة السياحة بعد أن أعلنت أن ذلك الكهف من ضمن محمية الوادي؛ لأنه نادر الوجود، كلوحةٍ فنيةٍ نادرة الجمال، لا مثيل له في العالم سوى كهفٍ واحد.

تمتمت مرسى: بفرجينيا؟

ضياء: نعم، أتيت وكلي حماس وشغف لتلك التحفة الفنية، ولكن لسوء حظي أصيبت سيارة رحلتي بعطلٍ مفاجئٍ قرب الكهف، فنزلنا أنا وطاقم بعثتي لنستكشف الطريق ريثما ينتهي السائق من إصلاح السيارة لنكمل رحلتنا، قسمنا أنفسنا لعدة فرق بحث ومشطنا المنطقة، حتى وجدت أنا فوهة ذلك الكهف اللعين وجذبتني تلك النّيران.

مرسى بخفوت: مثلما حدث معنا، ووجدتم ثلاث دروب؟

ضياء بتعجب: أي دروب؟! لم يدخل الكهف سواي.

مرسى: الدروب الثلاث الموجودة في مقدمة الكهف؟

ضياء: لا دروب هنا؛ حسب ما فهمت أن الكهف بأكمله عبارة عن وهم.

مرسى: كيف هذا؟! عن أي وهمٍ تتحدث؟ رأيت الدروب الثلاث بعيني وسلكت إحداها، بينما سلكت كل من رفيقتي؛ سدين ويمنى دربًا من الدروب.

ضياء: لقد وهمك الكهف مثلما وهمني.

همت مرسى بمقاطعته من جديد، لكنه أوقفها قائلًا: تريثي حتى أقصّ عليكِ باقي القصة.

مرت علي أيامٌ عدة في هذا الكهف لم أستطع الخروج منه أبدًا؛ فعلى الرغم من اصطحابي

لخريطةٍ مفصلة تحوي تفاصيل الكهف ومساحته وعمقه، إلّا أنّني لم أستطع الوصول للبوابة مطلقًا، حتى وجدت تلك المخطوطة –أخرج من حقيبته مخطوطة بالية– عكفت أيامًا على ترجمتها، وربما سنين، لم أستطع حساب المدة؛ فلا نهار ولا ليل، والغريب أني لم أشعر بالجوع أو بالعطش، بل الأغرب من ذلك لم أكبر في العمر أبدًا! حتى لم أشعر مطلقًا بأية مشاعر؛ وكأنني فقدت كل إحساسٍ آدميٍّ منذ خطوت بداخل هذا الكهف، الشعور الوحيد الذي كان يراودني كان الخوف، وكأنه يتغذى على روحي البائسة.

مرسى: وما هي ترجمة المخطوطة؟!

ضياء: المخطوطة تشرح لعنة قمرية مرتبطة بهذا الكهف، وتوضح بأنه عند الاقتراب من هذا الكهف في أيامٍ معينة تجذبك لعنته لتختفي بداخله ويأسر روحك ويريك أشدّ مخاوفك، ليتغذى على خوفك.

مرسى: هل تعني أنّنا بداخل فخٍ من الوهم، يرينا ما نخاف منه؟

ضياء: بالتأكيد، فقد رأيت على مدار سنوات عدة أبشع مخاوفي تتجسد أمامي، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أرى بشرًا في هذا الكهف العجيب، في أي عامٍ نحن؟!

مرسى بتريث: أظنك لبثت أعوامًا كثيرة، ما يتجاوز ربع قرن.

ضياء بجزع: هل مات أبواي؟!

مرسى: لا أعلم فأنا لست من هذا البلد من الأساس.

استمرت مرسى في الحديث مع ضياء عن اللعنة وعن بلدها وطموحها.

مرسي: ضياء لمَ لمْ تفكّ قيدي؟ فقد تيقنت أني لست بعدو.

ضياء بمكر: نعم ولكنكِ قرباني وسبيلي للعودة لوطني.

مرسى بخوف: ماذا تعني؟!

-الفصل السادس -

"بين الوهم والحقيقة"

سدين.

صارت أوصالي ترتعد خوفًا مما أرى، إن جدران هذا الكهف تجسد كل مخاوفي.. وكأن خوفي قد استدعى كل تلك الوحوش من سُباتها..

درت خلفي بسرعة أشق ظلام هذا الكهف بنيران شعلتي المثيرة للشفقة، أبعث بقلبي بعضًا من الثقة أن: لا وحوش هنا، فقط مجرد لوحات جدارية عفا عليها الزمن. ولكن ما هذا؟

كان يقف في فوهة الطرقة التالية شيء مخيف يحتل مقدمة الردهة، ويحجب ضوء نيراني.

ارتعشت أطرافي في جزع، ولكني لن أضيع وقتي في الخوف. ربما مجرد تمثال حجري، ربما صخرة من الصخور، ولكن لا مجال لربما هنا. فحياتي على المحك.

أمسكت بخنجري ورفعته أمامي بقوة، وقدمت نيراني تسبقني تنير لي ظلام طريقي، وكم تمنيت أن تنير ظلمات عقلي وتلقي بكل تلك الترهات والأساطير البالية جانبًا.

اقتربت ببطء من ذلك المخلوق العجيب! كلما اقتربت كلما اتضحت ملامحه أكثر، وكلما ارتفعت ضربات قلبي خوفًا وفزعًا، لكن كان يحتل الردهة المجاورة بأكملها، من هو؟ إنه وحش مخيف يشبه الذئب، ولكن لا ليس بذئب؛ إنه "القطرب". نعم، فقد وصفته ليّ جدتي مرارًا؛ إنه ليس بحيوان أقتله بخنجري، إنه صنف من الشياطين شبيه بالغول الأسطوري، لكنه لا يسكن الكهوف؛ إنه يسكن المقابر، ويتغذى على جثث الموتى!

هنا فقط انتبهت أين أقف، أخرجتني صوت تلك العظام أسفل قدمي من ذهولي، لتلقي بي إلي حافة الجنون؛ فأنا أقف فوق مقبرة جماعية ممتلئة بآلاف الجثث البالية، بعضها متآكل وأغلبها مجرد هياكل عظمية مهشمة كالتي كسرت أسفل حذائي منذ قليل،

أما ذلك القطرب فهو يرقد في سكون نائمًا وسط الجثث.

يا له من مشهد بشع يبعث الشعور بالغثيان!

أيقنت أن لا قبل ليّ بمحاربته؛ فلن أخوض حربًا خاسرة، سأفر من هنا بهدوء قبل أن يستيقظ ذلك الشيء، وبالفعل تراجعت في هدوء أبحث عن المخرج الذي دخلت منه لأعود لصديقاتي، ولكنه اختفى وكأنه لم يوجد من الأساس!

اختفى مهربي الوحيد ليتركني في مواجهة هذا المخلوق المتوحش الذي سيتغذى على روحي.

يمنى .

حسمت أمري واقتربت من هذا المصباح السحري وتلمسته في انبهار حقيقي؛ فقد سحرني وأفقدني حرصي وسلب عقلي،

ولكن كما في حكايات أمي بالضبط؛ فقد اهتز بشدة وخرج منه دخان كثيف عم المكان على حين غفلة. لم أعلم ماذا أفعل، وقع مني المصباح أرضًا ليخرج منه جني مخيف، ولأسقط أنا مغشيًا عليّ.

-الفصل السابع-

"اللعنة الحقيقة"

"عقب خسوف القمر وظهور القمر الدامي تتحرر اللعنات، وتخرج قوى الكابستر من ثباتها لتأسر أرواحًا هائمة ضلت طريقها، وتجذبها نحو كهف الأعاجيب لتحررها من براثن جسدها البالي، وتبقيها خالدة بعالم من صنع خيالهم، لا يميزون فيه بين الحقيقة والوهم سوى بقلوبهم وإيمانهم، ولا يخرجهم من عتمتهم وهمهم سوى قربان بشري يبذلون دمائه الفانية ليحرروا أرواحهم البالية".

مرسى: قوى الكابستر! ماذا تعني؟ وكيف تأسر أرواحًا هائمة؟! إذا كنت حية فروحي ليست بروح هائمة؟! إذا صدقت ترجمتك فهذا يعني

أننا جميعًا أموات ولا سبيل لتحرير أرواحنا من تلك اللعنة.

ضياء: لا تحاولي خداعي أيتها الرائدة، سأسفك دمائك على المنارة لأتحرر من تلك اللعنة.

سدين.

لا بد أن هناك مخرج، ظللت أبحث لساعات عنه، ولكن لا أثر له،

كل هذا بفضل حماقتك مرسى، لمَ نفترق؟!

جلستُ واستندتُ على أحد تلك الجدران المليئة بتلك الرسومات العجيبة لجميع وحوش الأساطير المخيفة، أنتظر أي من الاثنين يأتي أولًا؛ إما أن تجداني رفيقتاي أو يستيقظ هذا القطرب ويلتهمني، ولكني لاحظت شيئًا عجيبًا وسط تلك اللوحات الجدارية، شيئًا مألوفًا بالنسبة

ليّ! تلك النقوش أنا أعلم ترجمتها؛ فقد رأيتها ذات مرة بصحبة رئيس القبيلة، إنها تتحدث عن لعنة الكهف الدامي الذي يسلب الموتى المارين بالقرب منه أرواحهم ويسجنهم في عالم مخيف من نسج خيالهم يعج بأسوأ مخاوفهم، ولا سبيل للمفر منه سوى بالسيطرة على خوفك، فهو يتغذى على الخوف النابع من جهلنا، ويتلذذ بمعاناتنا الأبدية بداخله.

لقد فهمت كل شيء الآن؛ إنه الخوف القابع بداخلي، ليس هناك وحوش، ولم يختفِ الممر، كل هذا وهم بداخلي، كل هذه التراهات أوهامي، وكل هذا سراب من نسج مخاوفي.

حين أيقنت ذلك اختفى كل شيء بغتةً؛ اختفى الوحش والنقوش والممر وحتى الكهف اختفى!

لأجد نفسي أقف أمام سفينتنا وتحديدًا في كرسي حيث يقبع جسدي الممزق ورأسي المهشمة!

نعم، لقد مت أنا وفريقي أجمعون بعد تحطم مركبتنا الفضائية في وسط رمال تلك الصحراء ولم يكن ذلك كله سوى وهم عشت بداخله.

يمنى.

أفقت من إغمائي القصير لأجد نفسي أمام ذلك الجان مجددًا.

صرخت يمنى بقوة: يا إلهي العون، ماذا أرى؟! هل أنت حقيقة أم حلم؟!

ضحك الجني بشدة: كلا يا صغيرة، لا تحلمين، بل أنا واقع أمامك مثلما أنتِ واقعي، ولكِ مني ثلاث أمنيات أحققها لكِ.

يمنى: ثلاث أمنيات!

ألن تخبرني أولًا عن سر سجنك هنا؟!

الجني: لا يا صغيرة، لن يضر الشاة سلخها بعد ذبحها، لن تفيدك المعرفة بشيء، فأنا سألبي أمانيك وأعود لسجني من جديد.

يمنى: كيف يمكنني تحريرك؟

الجني بتعجب من موقف يمنى: حريّ بكِ أن تطلبي تحرير نفسك أولًا يا صغيرة!

يمنى: وأنت؟!

أنا ليّ رفاق سيبحثون عني، وليّ رب لن ينساني، لكنك هنا بأسرك وحيدًا!

زاد تعجب الجني أكثر وقال: أنا منفيّ هنا منذ عقود، قابلت من البشر أشكالًا وألوانًا، ولكنكِ

أولهم إيثارًا للغير على نفسكِ، وأثبتهم إيمانًا، وأقواهم جأشًا، لقد ظننتك مثلهم حين سقطتِ فاقدة الوعي أمامي!

سليّ ما شئتِ يا فتاة، فإن طلبك مجاب.

يمنى: أريد أن أعرف كل شيء.

الجني: وهل لديك القدرة على تحمل الحقائق؟!

يمنى: أن أعرف أفضل من أن أعيش أسيرة لجهلي ولغروري، لدي يقين بالله.

الجني: لكِ ما سألتِ.

لقد نُفيت هنا مع أحد السحرة المخضرمين، نفانا أهل القرية البائسون بعد أن زاد بطش الساحر، ولكنه لم يردعه المنفى وقرر الانتقام منهم، فصنع تعويذة شريرة وألقاها على جدران ذلك

الكهف؛ تنص تلك اللعنة على أن من يقترب من الكهف في أيام معينة وأعوام محددة تصبح روحه أسيرة لهذا الكهف، فتصيبه مصيبة تجعله يلقى حتفه، ثم تأسر روحه وتذيقه الهلاك وتصنع له عالمًا يخلد فيه وسط مخاوفه، ولا سبيل لتحرير روحه سوى بقربان حي يسفك دمائه أمام المذبح حيث ضحى الساحر بنفسه ليحيي هذه اللعنة.

يمنى بذهول: هل تعني أننا جميعًا أموات؟!

الجني: نعم، والآن بعد أن أجبتكِ على ما سألتِ، لك مني ثلاث أمنيات.

يمنى: لدي سؤال أخير، هل بسفكي الدماء أحررك معي أم أنك باقٍ هنا؟

الجني: حُكمَ عليّ أن أفنى هنا يا صغيرة، فأنا أُعاقب على ما اقترفت من ذنوب شنيعة.

يمنى: أريد أن أرى صديقاتي وأجتمع بهن.

الجني: لكِ ما سألتِ.

وفي لمح البصر حرر الجني مرسى من براثن ضياء قبل أن يطعنها حتى الموت ظنًا منه أنه يقدمها قربانًا، وأحضر سدين من أمام جثتها، بعد أن علمت الحقيقة المرة.

اجتمع الثلاثة مجددًا وسط ذهولهن من تطور الأحداث وبعد أن علمن بوفاتهن، بحثن في أمرهن طويلًا فلا أمنيات ليهدروها.

يمنى للجني: لقد اتفقت أنا وصديقاتي على أمنياتنا.

الجني: سليّ ما شئتِ يا صغيرة.

يمنى: أريد أن ترى كل منا عالمها الحقيقي، ورد فعل ذوينا بعد علمهم بوفاتنا.

تحول المشهد من جديد لترى كل منهم منزلها في وطنها وترى بكاء ذويها وافتقادهم لها وتستمع لرثاء أقرانها في خطاب طويل يُرثى له، ينعي الجميع فقيدهم.

وعدن من جديد للكهف الملعون بعد أن ودعن ذويهم بدموعهن الحارقة التي لم يرها أو يشعر بها سواهم.

عدن ومعهن أمنية واحدة، أمنية قد يكون بإمكانها إحيائهم من جديد!

فيا ترى ماذا تمنين؟

إذا دفعكم الفضول لمجاراتي وسعدتم على متن رحلتي انتظروني في القريب أنا وجماعتي أسرد إليكم أحداث عشتها بين الحقيقة والخيال

"تمت بحمد الله"

دينا زهران

تذكر أنك قرأت هذا على مدونة

مدونه كلام على ورق

كلام على ورق